# شعيب

عجبٌ للناس ، أجيالاً بعد أجيال ، كل أغرقهم الله فى نعيمه ، ومَنَّ عليهم بفضله ، إنهم لم يقابلوا نِعَمِهِ بالشكر عليها ، حتى يحفظها عليهم ، ويزيدهم منها .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

(إبراهيم الآية ٧)

وإنما يقابلون النعمة بالكفر ، والإحسان بالإساءَة ، والغنى بالطغيان .

وكذلك كان أهل مَدْيَن ، العرب الذين أقاموا فى أطرافِ الشام فقد كفروا بربهم ، وأشركوا به ، وتخلَّوْا عن عبادته ، وانقطعوا لعبادة الأيْكَةِ ! .

وما الأيْكَة إلاَّ خميلةٌ من شجر ، نبتت حول بحيرة من ماءٍ ، فطال شجرها ، والتفَّتْ أغصانها ، وكسا ظلها ، وراقَ ماؤها ، ولطُف هواؤها ، فكانت (الغدير) ! .

والغدير ، أُغرِم به الشعراءُ من قديم ، وما زالوا به مغرمين ! .

* * *

والغدير والأيكة . فى صحراءَ محرقة ، لابد يَسْتهوى المحرورين ، ويجذب الظِّماءَ إلى ظله وبَرْدِ مائه ، ويحتوى العشاق فى حنايا خمائله ، ويُؤْوِى الطيور ، فتغرد على أفنانه ، فيبدو فتنةً لمن كان له رقة طبع ، واعتدال مزاج .

* * *

ذلك سر افتتان أهل مَدْيَن بالأيكة ، فأسرفوا فى حبها ، والحب يعمى ويصم ، حتى عبدوها .

وما الأيكة ، إلا مظهر يسير ، من مظاهر نعم الله ، ولو عقلوا ، لمجَّدوا الله فى بديع صنعه ، ولعبدوه لعظيم قدرته ، ولخروا ساجدين لله فى معبد جلال الله ! .

ولكنهم لم يهتدوا ، وعبدوا الأيْكة ، وهى من صنع الله ، ونسوا الله ، كما عبد الأقوام من قبلهم التماثيل ، لتقرِّبهم إلى الله ، ثم عبدوها ، ونسوا الله .

ذلك شأن أهل مَدْيَن .

شأن آبائهم الأولين ، فى الإشراك بالله ، وعبادة آلهة يؤلّهونها من دون الله .
وفى العناد والاستكبار ، والأنفة أن يتبعوا إنسانًا أرسله الله ! .

* * *

وزاد أهل مَدْيَن على الأولين ، أنهم كانوا ذوى حرص وجشع ، وأنانية وأَثَرَة ، يحاولون جمع المال والغنى من أى طريق ، حتى لو كان بالغش والتدليس .

فقد كانوا يطففون الكيل ، ويبخسون الناس أشياءَهم ، وينكرون على ذوى الفضل فضلهم ، ويُرْخصون ما فى أيدى الناس ، ويُغالون فيما يملكون ، ويُضَيِّقون مكاييلهم حين يبيعون للناس ويُوسعونها حين يشترون من الناس ، ويُنزلون الأسعار فى شرائِهم ، ويرفعونها فى بيعهم .

بل كانوا يهوِّنون من شأن الناس وقدرهم ، ويرفعون من قيمتهم ومنزلتهم .

ذلك هو التطفيف ، الذى هو الغش ، ونبينا محمد عليه السلام قطع على الغشاشين ، فقال : « **من غشنا فليس منا** » .

والله سبحانه جعل أشق أركان جهنم للمطففين فقال :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

(المطففين الآيات ١/٣)

أولئك قوم شعيب ، أصحاب مدين .

أولئك الذين أرسل إليهم ، نبيًّا منهم ، ليهديهم ، فقال :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧⑤ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑧⑥ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

(الأعراف الآيات ٨٥/٨٧)

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾
(هود الآية ٨٩)

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾
(الأعراف الآيتان ٨٨/٨٩)

* * *

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾
(هود الآية ٨٧)

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾
(هود الآية ٩١)

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾
(هود الآية ٩٢)

وكذبوه ، وعاندوه ، وهدّدوه . وتحدّوه . فأخذهم عذابُ يوم الظُّلّة ، السحابة .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾
(هود الآيتان ٩٤/٩٥)

* * *